إنجازات هيفاء البشير
جمعيّة الأسِرّة البيضاء

الفكرة والتأسيس

ما تزال «جمعيّة الأسرّة البيضاء» تواصل دورها، بما يحمله الاسم من نقاءٍ إنسانيّ وفلسفة نبيلة قامت بها الجمعيّة التي تأسست في بداية سبعينيات القرن الماضي (1971)، وحملت على عاتقها مساعدة المرضى الذين تطول إقامتهم في مستشفيات وزارة الصحّة ودعم التمريض، وكذلك خدمة كبار السّن.

وعلى الرغم من تزايد أعبائها الماديّة؛ إلا أنّ دورها لم يتوقّف، بهمّة رئيستها الأديبة الكاتبة هيفاء البشير، وبحثها المستمر عما يلبي هذه الحاجة الأصيلة لدى نفوسٍ قُدّر لها أن تحتاج العون.

وتنطلق الجمعيّة العريقة في مشوارها من قيمة العمل الاجتماعيّ التطوّعي، وتَحَمُّل صعوباته ومتغيراته المالية تحديدًا، نحو التنمية بمفهومها الاجتماعي الذي هو جزءٌ لا ينفصل من تنمية شاملة، وسيلتها وغايتها الإنسان، في الوقت ذاته.

وهو جهدٌ طويل، ويحتاج نَفَسًا تكامليًّا ومتابعة مع القطاعين العام والخاص والمؤمنين بقيمة العمل التطوعي الذي يستهدف ما هو دائم وليس تلبية احتياجات آنيّة فقط؛ ذلك أنّ العمل التطوّعي المستمر له شروطه وأهدافه طويلة المدى، كما أنّه يؤمن بصعوبات المواصلة وإقناع الآخرين بجدوى هذه الفئات ذات الوضع الخاص في المجتمع.

وتسير الجمعيّة على أسس مرونة الواجب الإنساني وتلافي البيروقراطيّة في تنفيذ الإجراءات وقراءة الاحتياجات وتحقيق الرسالة، بعيدًا عن الاستعراض والمنافع

الشخصيّة؛ إذ ينسجم الفرد مع هذا الطَّيف الإنسانيّ، ويجد نفسه في شفاء المحرومين والعناية بهم ودمجهم في المجتمعات وتحفيز إنسانيّتهم تجاه محيطهم الاجتماعي.

ويتفرّع عن الجمعية كلٌّ من «دار الضيافة للمسنين»، و«منتدى الرواد الكبار»، وهما ذراعان قويّتان لجمعيّة ناجحة مؤسسيًّا، تجاوزت العناية التقليدية إلى المعنويّة والانسجام النفسي لنزلائها، في تفاعل مشهود لهم مع محيطهم المجتمعي.

وقد قدّمت الأديبة والناشطة الاجتماعيّة هيفاء البشير الكثير للجمعيّة، خاصةً أنّها درست في السبعينيات التمريض في الجامعة الأردنيّة إيمانًا بهذا الهدف الإنسانيّ النبيل، وحققت شيئًا متميّزًا على أرض الواقع يجمع بين التخصص والتطوّع، فكانت «جمعيّة الأسرّة البيضاء».

وتأسست الجمعيّة تحت رقم (47)، بترخيص من وزارة التنمية الاجتماعية، وفي مقدمة أهدافها مساعدة المرضى الذين تطول إقامتهم في مستشفيات وزارة الصحة ودعم التمريض وكذلك خدمة كبار المسنين.

دار الضيافة للمسنّين

استحوذت رعاية المسنين على القسم الأكبر والأهم من خدمات جمعيّة الأسرّة البيضاء، وذلك منذ عام 1975، يوم وُضع حجر الأساس لدار الضيافة للمسنين على أرض الجويدة (عمان)، برعاية من جلالة المغفور له الملك الحسين طيب الله ثراه، الذي افتتحها رسميًّا عام 1979، فقد تم إنشاء وتشغيل الدار بأنشطة مستمرة للجمعية وتبرعات محلية وعربية، فخرجت على أحسن صورة مدروسة وقادرة على الأداء.

وتستقبل دار الضيافة للمسنين كبار السن من النساء والرجال المتوحدين أو الذين انحدرت قدراتهم الجسمية، ولم يعد في مقدورهم خدمة أنفسهم.

وتهدف دار الضيافة إلى: تقديم الخدمات الاجتماعية والإنسانية للمريض والمسن، وتقديم خدمة للعاملين في أجهزة المستشفيات الذين يخدمون المريض، والإسهام في سدّ حاجات المستشفيات الحكومية وتلبية الممكن منها، مما هو ليس من مسؤوليات وزارة الصحة، وإقامة مشاريع خيرية وخدمات بحسب المتطلبات، ودعم التمريض والدعاية بين الفتيات الأردنيات للالتحاق بهذه المهنة.

منجزات وخدمات

من منجزات الجمعيّة إنشاء كفتيريا في مستشفى البشير لخدمة الأطباء والممرضات والزوار. وتقوم على خدمة الكفتيريا متطوّعات من الجمعية بالإضافة للموظف المعين لذلك، وتقدّم منتوجاتها بأسعار مناسبة؛ إذ ليس الهدف الأول منها ماديًّا، كما أنشأت الجمعيّة دكان مبيعات في مستشفى الجامعة الأردنية، تؤمّن الاحتياجات الضرورية من المشتريات التي يحتاجها الجهاز العامل والمريض والزائر، لتكون في متناول اليد وبأسعار مقبولة. وكذلك أنشأت الجمعيّة مبنى استثماريًّا على الأرض المجاورة لدار الضيافة للمسنين؛ فيُستفاد من الأجرة السنوية لرفد الخدمات التطوعية التي تقوم بها الجمعية، وكذلك أقامت الجمعيّة دار الضيافة للمسنين في منطقة الجويدة بعمان.

ويخدم الدار جهازٌ يبلغ اثنين وخمسين موظفًا، لحاجة هذه الفئة لخدمة مكثّفة من إدارة وخدمات صحية ورعاية وإشراف، بالإضافة إلى عمال الصيانة والنظافة وعمال المطبخ والغسيل.

وتُعتبر دار الضيافة للمسنين مركزًا تعليميًّا لتدريب طلبة كليات الطب والتمريض بحسب ساعات معتمدة، وتَرِدُ دائمًا كتب شكر من هذه المؤسسات، وذلك للمستوى الذي تؤمّنه الدار في توجيه فريق المتدربين ومساعدتهم.

وتتقاضى الجمعية من المقتدر رسوم إقامة متواضعة، وتتعامل مع المستفيدين بحسب قدراتهم المالية؛ نظرًا لكونها جمعيّةً إنسانية غير ربحية أولًا وأخيرًا، وتغطّي جزءًا أكبر من الكلفة من أنشطةٍ مدرَّة للدخل.

كما تستقبل عددًا من المسنّين غير المقتدرين (يُحوّلون بعد دراسة من وزارة التنمية الاجتماعية)؛ فتغطّي الوزارة رسومهم، ولكن بسبب تصاعد الكلفة، فإن هذه الرسوم لا تكفي لتغطية كلفة النزلاء المحوّلين.

وتتوجه الجمعية للهيئات والجمعيات والمدارس بالشكر لتوافدهم وباستمرار للترفيه عن المسنين وتقديم الهدايا لهم، خاصةً أنَّ جمعية الأسِّرة البيضاء تؤمن بأهمية التفاعل بين الأجيال، فزيارة الأطفال تُدخل المسرة والبهجة إلى قلوب المسنين.

وتشكّل الهيئة العامة للجمعية، التي يبلغ عددها خمسًا وأربعين سيدةً، هيئةً عاملة يتناوب فيها الأعضاء أسبوعيًّا على أكثر من نشاط أو خدمة، وبشكل ملتزم، مثل كفتيريا مستشفى البشير، أو دكان الهدايا في مستشفى الجامعة الأردنية، أو اللجان المشكّلة لخدمة دار المسنين، مثل اللجنة الاجتماعية ولجنة التعامل مع حاجات النزلاء، ولجنة المطبخ والغسيل والمشتريات والصيانة. وتقوم هذه اللجان بالإشراف وإبداء الملاحظات وحلّ المشاكل بشكل سريع.

كما أنّ الجهاز العامل في الدار، وبوظائفه المختلفة، يقدّم خدمة رائعة؛ ذلك أنّ في خدمتهم مضمون التطوع بالجهد والوقت، إذ يؤدّون هذا الهدف عن طيب خاطر، مؤمنين بقيمة ساعات العمل والجهد المبذول.

التحديات والاستيعاب

من التحدّيات التي تواجه الجمعيّة أنّها تغطّي العجز الناتج عن كلفة إدارة الدار من مصادر أربعة، هي: دخل الكافتيريا، ودخل دكان مستشفى الجامعة الأردنية، وأنشطة

الجمعية الاجتماعية المدرّة للدخل، والتبرّعات. كما أنّ أكثر المصاريف المُكلفة هي فواتير الماء والكهرباء والديزل ورواتب الكادر الوظيفي وخدمة النظافة والصيانة.

وتستقبل الدار عددًا من كبار السن أكبر من طاقتها الاستيعابية؛ ويلاحظ أن عدد الرجال يشكّل ضعف عدد النساء، وتؤمن الجمعية بأنها مسؤولة عن تأمين أَسِرَّة جديدة لاحتياجات المستقبل؛ لذا فقد وضعت خطةً طويلة المدى لإضافة تسعين سريرًا، لكنْ في وحدات منزلية محدودة السعة. ويتسع البيت الواحد لستة أشخاص ومشرف، وقد تبرّع محسنون لإقامة أول منزلين، إذ سُمِّي البيت الأول «دارة هند القطان»، إذ تبرع شقيقها بقيمة وكلفة الدار، كما أقيم البناء الثاني بأسماء: د.نزار النابلسي وبنك الأردن وأسرة المرحوم أمين شقير الذين شاركوا مجتمعين بتغطية الكلفة. وما تزال الجمعية مستمرة في طرح الفكرة على المحسنين لإنشاء الوحدات الأخرى كمشروع طويل المدى.

ويلاحظ على دخل الجمعيّة أنّه لا يغطى مصروفاتها؛ فهنالك عجزٌ سنويٌّ يقترب من (100) ألف دينار يُغطّى سنويًا بجهود جبارة، وقد أخذت الجمعيّة تعاني من صعوبة تغطية هذا العجز، إذا ما علمنا أنّ تعرفة الكلفة المعتمدة من وزارة التنمية الاجتماعية للمحوَّلين غير المقتدرين وهي (220)دينارًا، لا تكفي لتغطية كلفة الشخص الواحد، مما تضطر معه الجمعية لاستكمال العجز وهو في حدود (130)دينارًا شهريًا لكل فرد.

وتسعى الجمعية لإقامة مشروع استثماري على قطعة الأرض المحاذية للشارع العام التابعة للجمعية، بحيث تحقق إيرادات تكفل ديمومة عمل المؤسسة، كما أنّ مخطط المشروع ودراساته جاهزة في الجمعية وتقدر بحدود (448) ألف دينار، والمشروع عبارة عن مكاتب تجارية وقاعة حفلات.

ويتراوح عدد المقيمين في دار الضيافة للمسنين من الجنسين ما بين (120- 130) مقيمًا، بشكل دائم، وهم يستمرون في دار الضيافة للمسنين طول الحياة.

ويبلغ عدد موظفي الجمعية (62)موظفًا، وهم معيلون لأُسَرِهم، وتتولى الجمعية تغطية رواتبهم بالإضافة إلى الضمان الاجتماعي، كما يلاحظ ارتفاع كلفة رعاية كبار السن المقيمين في الجمعية، خاصّةً أمام تصاعد فاتورة الدواء بشكل مضطرد، وكذلك فوط الكبار الصحية مما يزيد الكلفة سنويًّا، وكذلك موضوع التدفئة والنقل لكثرة حركة السيارات وبُعد المكان، فضلًا عن حاجة كلٍّ من دار الضيافة ومنتدى الرواد الكبار إلى سيارتين صغيرتين تقريبًا لا تستطيع الجمعية بوضعها المالي الحالي تأمينهما، والهدف منهما هو تسهيل الحركة والمعاملات اليوميّة للجمعيّة.

منتدى الرّواد الكبار

منتدى الرّواد الكبار هو هيئة غير ربحية تُعنى بخدمة ورعاية كبار السن من الجنسين، وليست له صبغة سياسية أو دينية أو طائفية أو جهوية، وينظر باحترام لجميع شرائح المجتمع الأردني، وتسعى الجمعية لإقامة فروع للمنتدى الذي يقوم بدور كبير في عمان، وفي بقية المحافظات الأردنيّة لتعمَّ الفائدة والتثقيف والعناية المعنوية الثقافية بكبار السن.

وقد قام المنتدى بدور كبير في القطاعات الإعلاميّة والثقافيّة والفكريّة والصحيّة وفي الوعي العام، بندوات ومحاضرات أسبوعيّة حازت على متابعة الجمهور متنوع الاهتمامات، ويشهد هذا المنتدى إقبالًا على أنشطته، وقد تَكوَّن له أصدقاء مثقفون وأدباء وفنانون، في جوٍّ من التشاركيّة الأخويّة البنّاءة بين كبار السن ومحيطهم المجتمعي الكبير.

الركائز والمنطلقات

وتنطلق فلسفة التأسيس من احترام كبار السن من الجنسين، وتقدير خبراتهم التراكمية في مختلف مجالات الحياة، وتعزيز الجوانب الإيجابية في شخصياتهم، وكذلك تحقيق الأمن النفسي والاجتماعي لهم، وخلق تفاعلٍ إيجابيٍّ بينهم وبين مجتمعهم الكبير، واحترام

طاقاتهم الخلاقة، وتوفير الرعاية الشاملة لهم، واعتبار هذه الرعاية تشاركية ما بين الأُسْرة والدولة ومؤسسات المجتمع المدني.

الأهداف والطموح

ويهدف المنتدى إلى تأمين مقرٍّ مناسب يمارس فيه كبار السن من الجنسين أنشطة فكرية وأدبية وثقافية واجتماعية وترفيهية هادفة، وكذلك تقديم خدمات صحية وأنشطة رياضية معدّلة (رياضة كبار)، وبرامج لياقة تتناسب مع الوضع الصحي لهم، وتوفير جوٍّ اجتماعيٍّ عائلي، وتقديم وجبات صحية مناسبة لكبار السن وبأسعار مدعومة، وتنظيم احتفالات خاصة بمناسبة الأعياد الدينية والوطنية والقومية، وإقامة أنشطة مشتركة مع مؤسسات المجتمع المدني ذات العلاقة، وإصدار مجلة ثقافية فصلية تُعنى بكبار السن، وتنظيم لقاءات دورية مع رؤساء وأعضاء الأندية ومؤسسات المجتمع المدني ذات العلاقة بفئات كبار السن والمرأة والطفولة. كما يهدف المنتدى إلى إشراك عدد من كبار السن من الفئات الأقل حظًّا للاستفادة من خدمات المنتدى وأنشطته.

الآليات والوسائل

ولتحقيق أهدافه وغاياته يقوم المنتدى بتوفير وجبات صحية مناسبة مغذِّية وكافية لكبار السن، وتوفير خدمات صحية بإشراف أطباء مختصين وبرامج ومحاضرات ثقافية مختلفة، ونشاطات رياضية ولياقة جسمية وألعاب تسلية، ونشاطات ترويحيّة بحسب المناسبة، ورحلات سياحية داخلية وخارجية، وكذلك توفير الاشتراك في التأمين الصحي للأعضاء غير المشمولين بالتأمين الصحي العام، وذلك بالتنسيق مع الجهات ذات العلاقة.

لجان المنتدى

ويشتمل المنتدى على عدد من اللجان الفاعلة، وهي: اللجنة الثقافية والفكرية والأدبية، واللجنة الاجتماعية والفنية والرحلات، واللجنة الصحية واللياقة البدنية، ولجنة الدعم المالي والتبرعات، واللجنة الإعلامية.

الجمعيّة الأردنية للتأهيل النفسي

تأسست الجمعية عام 1989 بهدف تقديم خدمات التأهيل النفسي، وقد وضعت السيدة هيفاء البشير حجر الأساس ورئست هيئتها الإداريّة منذ ذلك الوقت إلى اليوم. ومن تحدّيات الجمعيّة أنّ تأسيسها في ذلك الوقت كان يُعَدُّ خروجًا على المألوف؛ ففي الوقت الذي كان ينظر للمريض النفسي فيه على أنَّه عالة على المجتمع، كانت السيدة هيفاء البشير تقف في وجه هذه المَوْجَة الطامية لتقول إنَّ هؤلاء الاشخاص هم أبناؤنا وإخواننا، وهم جزءٌ لا يتجزأ من تكوين الوطن، ولابد أن تكون لهم يدٌ وذراعٌ في تشكيل مستبقله وبناء إنجازاته، وهذا وحده يكفي ليكون مؤشرًا على بعد النظر والرؤية الواثقة لدى هذه السيدة، بالإضافة طبعًا إلى البعد الإنساني الذي لا يخفى على أحد.

وقد تشكّلت الجمعية، واستمر العمل بها لمدة 11 عامًا متواصلًا، وكان الإنجاز خلال تلك الأعوام ليس بالدرجة المأمولة، إلا أنَّ هذا لم يثنِ السيدة البشير عن السعي اللامتناهي للوصول لأهداف الجمعية؛ فلا بدَّ وأنّها مرَّتْ بلحظات من التعب والعناء وربما اليأس، لكن علمها وخبرتها في العمل التطوعي والإنساني إضافةً إلى إيمانها بمقولة: «إذا كانت الأحلام كبيرة فالحقائق لا تهم»، كلّ ذلك جعلها تستمر في سعيها الدؤوب حتى بلغت ما تسعى له.

مركز الصفصاف

في العام 2000 خَطَت السيدة هيفاء البشير الخطوة الأولى في تأسيس مركز الصفصاف في منطقة تركي بناعور، عندما تبرَّعت دائرة الحراج بتقديم الأراضي، وواصلت الجمعيّة سعيها حتى جمعت التبرعات اللازمة لبناء المركز بحلته التي هو عليها اليوم، حلة جعلت منه اليوم مقصدًا لمن يعانون اضطرابات نفسية مزمنة، لمن أسماهم المجتمع «المرضى»، وربما وصمهم بألقاب أخرى أساءت لهم ولذويهم، لكن الجمعية الأردنية للتأهيل النفسي بقيادة السيدة هيفاء البشير آثرت تسميتهم «المستفيدين»، وهذا كان له أثرٌ طيبٌ في نفوسهم ونفوس أهاليهم، كما أنَّه ساهم بشكل أو بآخر في توجيه الدفة نحو اعتبار هذه الفئة جزءًا لا يتجزّأ من المجتمع، وبذلك أسهم في علاج وصمة العار المرتبطة بالمرض النفسي. وقد تشرفت الجمعية بأن قامت جلالة الملكة رانيا العبدالله حفظها الله بافتتاح مركز الصفصاف في العام 2003.

وتقع الجمعية في منطقة تركي ضمن لواء ناعور في العاصمة عمان، حيث تبعد عن مركز مدينة عمان حوالي 25 كم، والمنطقة التي تقع فيها الجمعية هي منطقة تجمع بين الطابع الريفي من حيث الطبيعة والأحراج، والحداثة من حيث طبيعة البناء والمرافق. ولأنَّ الهدف كان منذ البداية توفير الخدمة الشمولية، فالجمعيّة معنيّة بتوفير خدمات: التأهيل النفسي والاجتماعي من قبل مدربين مختصين ويخضعون لإشراف دائم من قبل خبراء، وكذلك التأهيل المهني الذي يتضمن التدريب ضمن مشاغل الخياطة والنجارة والنسيج والتريكو والخيزران والفسيفساء والموسيقى والكمبيوتر والفندقة، وخدمات الطعام والشراب والنظافة والخدمات المساندة الأخرى.

وينقسم المستفيدون من خدمات مركز الصفصاف إلى قسمين رئيسيين، هما: القسم الداخلي، غذ يكون المستفيدون المقيمون داخل المركز، وهؤلاء تقدم لهم خدمات الرعاية المسائية والطعام والشراب والمبيت بمواصفات عالية وجودة تضاهي المعايير

الوطنية والدولية. والقسم الخارجي، إذ يتلقى المستفيدون الخارجيون خدمات التأهيل نهارًا ويعودون لمنازلهم، وتوفّر الجمعية لهم خدمات المواصلات من منازلهم وإليها.

وقد تأسس مركز الجمعية ليشتمل على مجموعة من المواصفات هي: أن يقع على قطعة أرض مساحتها 12 دونمًا، إذ تحتوي الأرض على أشجار حرجية وأشجار الزيتون، بالإضافة لبرج الحمام وقن الدواجن، كما يزرع في الأرض أعشاب طبية متنوعة. كما أنّ مساحة البناء هي 1800 متر مربع، ويتكون من طابقين: الأول، مجموعة من المشاغل – الخياطة والنسيج، الخيزران، الفندقة، النجارة، الفسيفساء، الكمبيوتر، الموسيقى، التريكو- كما يضم قاعات جلوس ومنامات للمستفيدين المقيمين في المركز. أمّا الطابق الثاني، فيضم الجناح الإداري والمكاتب والمطبخ وقاعات الجلوس والاجتماعات. كما تبدو الشرفة قاعةً خارجية مجهزة بكافة المرافق، وتتسع لطاولات ومقاعد تكفي لأكثر من 400 شخص، ومرافق الشرفة هي الحمامات والمغاسل والفرن الخارجي، وتشكل إطلالة الشرفة إضافة فريدة من نوعها.